المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 12-02-2007 العـــدد : 12555
الصفحـات : 20 المسلسل : 140

تاريخياً بوتين أول رئيس روسي يزور المملكة

د. تيسير كمناكش*

من المعلوم أن روسيا تاريخياً تتعاطف مع قضايا العرب وتتطابق آراؤها مع توجّهات العالم العربي والإسلامي في أغلب القضايا، وطالما أبدت رغبتها في توسيع التعاون بينها وبين العالم الإسلامي. لعل هذا الإحساس اليقظ بقضايانا جعل المملكة العربية السعودية تلتفت بعناية إلى دور وتأثير روسيا والاستفادة منه لصالح قضايا العرب والمسلمين، ومن هنا كان الموقف السعودي الداعم لانضمام روسيا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كمراقب؛ مما سمح لروسيا أن تشارك لأول مرة كمراقب في القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في ديسمبر الماضي في مكة المكرمة.

ولا يخفى على أحد أن النفط يعدّ ورقة مهمة، وهو من القواسم المشتركة بين المملكة العربية السعودية وجمهورية روسيا الاتحادية؛ حيث إنهما قادرتان على القيام بدور أساسي في توازن واستقرار أسعار النفط؛ حيث إن السعودية أكبر دولة مصدّرة للنفط في العالم تليها روسيا الاتحادية، وتعاونهما في سياسة نفطية مشتركة سيساهم بلا شك في تنسيق سياسات الدول المنتجة والمستهلكة على حدّ سواء، وأن وجود أقليات مسلمة (نحو ٣٠ مليون مسلم) في روسيا الاتحادية فإن ذلك آمر في غاية الإيجابية ويعمق رابطة التواصل مع العالم الإسلامي، ويهم السعودية من منظورها الديني أن يحظى المسلمون في روسيا الاتحادية بمعاملة عادلة تمكّنهم من ممارسة واجباتهم الدينية وتسمح لهم بالاندماج الطبيعي في نسيج المجتمع الروسي، ولا شكّ أن القيادة الروسية تساعد وتدعم هذا التوجه؛ حيث إنه من أصل ٤٥٠ نائباً في مجلس الدوما الروسي يوجد اليوم ٤٨ نائباً مسلماً ووزير مهم هو وزير الداخلية.

إن روسيا الاتحادية ما تزال في مرحلة التحول، وهي تمتلك قاعدة تقنية متطورة جداً، ولديها احتياطي هائل من الثروات الطبيعية، وهي دولة عظمى بكل المقاييس.

الواقع الاقتصادي لروسيا الاتحادية

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينيات من القرن الماضي وإعادة تشكيل الجمهوريات المستقلة، بما في ذلك جمهورية روسيا الاتحادية التي اعتمدت مبدأ السوق في التعامل مع الخارج، أصبحت روسيا تحقق نمواً كبيراً وتدريجياً في المجال الاقتصادي الذي بات يحتلّ المكانة الأولى في الاهتمام الروسي.

ويعود هذا النمو المتواصل بشكل كبير إلى ارتفاع أسعار الطاقة والوقود في الأسواق العالمية؛ حيث إن الصادرات الروسية من النفط والغاز تشكل نسبة عالية من الصادرات الروسية؛ حيث شكّل النفط والغاز ما نسبته ٦٩,٣٪ من حجم الصادرات الروسية إلى دول العالم عام ٢٠٠٦م، تلاهما الحديد والمعدات المصنّعة من الحديد ١٤,٦٪، والصناعات الكيماوية ٥,٦٪، والأخشاب ٣,٥٪، والسيارات والآليات ٣,٤٪(١).

وحقّق الاقتصاد الروسي نتائج هائلة في عام ٢٠٠٦م المنصرم؛ حيث نما الناتج المحلي الإجمالي لروسيا الاتحادية بنسبة ٧,٤٪، ووصل حجمه إلى ٧١١ مليار دولار(٢).

وبحلول عام ٢٠١١م سوف تتجاوز روسيا ما تبقّى لديها من تخلّف في الأمور التقنية المدنية، حتى إنها في تقنية المعلومات سوف تحقق نجاحاً يفوق بكثير ما سوف يتم تحقيقه في أمريكا والغرب مجتمعين(٣).

وفي المقابل تشكّل الواردات الروسية الأجهزة والمعدات الصناعية والزراعية والسلع الاستهلاكية الأولية واللحوم والسكر والمنتجات المعدنية شبه المصنّعة والسيارات.

وشكّل حجم الاستيراد في روسيا خلال الفترة يناير (كانون الثاني) - نوفمبر (تشرين الثاني) عام ٢٠٠٦م مبلغ ١٢٠,٧ مليار دولار، وزاد بهذه الصورة مقارنة بنفس الفترة من العام السابق بنسبة ٣٧,٧٪، وتدل على هذا الإحصائية الجمركية التي نشرتها الجمارك الفيدرالية الروسية.

وشكّل الاستيراد من البلدان الأجنبية ١٠٠,٦٪ مليار دولار (الزيادة ٤٢,٨٪)، ومن بلدان رابطة الدول المستقلة ٢٠,١ مليار دولار (الزيادة ٦,٧٪)(٤).

وشكّلت صادرات روسيا خلال الفترة يناير (كانون الثاني) - نوفمبر (تشرين الثاني) عام ٢٠٠٦م مبلغ ٢٧٢,٢ مليار دولار محقّقة زيادة مقارنة بنفس الفترة من عام ٢٠٠٥م بنسبة ٢٥,٥٪(٥).

وشكّلت الصادرات إلى البلدان الأجنبية ٢٣٤,١ مليار دولار (الزيادة ٢٤,٩٪)، وإلى بلدان رابطة الدول المستقلة ٣٨,١ مليار دولار (الزيادة ٢٩,٢٪)(٦).

وازداد حجم التبادل التجاري الخارجي لروسيا الاتحادية في الفترة من أوائل يناير حتى أواخر نوفمبر ٢٠٠٦م بنسبة ٢٩٪

المصـــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 12-02-2007
الصفحـات : 20
العـــدد : 12555
المسلسل : 140

مقارنة بنفس الفترة من عام ٢٠٠٥م، وبلغ ٣٩٢٩ مليار دولار(٧).

وبلغ فائض الميزان التجاري لروسيا الاتحادية في فترة ١١ شهراً من العام الماضي ١٥١,٦ مليار دولار مقابل ١٢٩,٣ مليار دولار في نفس الفترة من عام ٢٠٠٥م(٨).

وازداد حجم الاستثمارات الروسية في الخارج؛ حيث استثمر رجال الأعمال الروس - فقط في عام ٢٠٠٦م - في الولايات المتحدة الأمريكية ١٣,٨٩ مليار دولار. وفي قبرص ٦,٥٦ مليارات دولار، وفي بريطانيا ١٢,٢٤ مليار دولار(٩).

مع العلم بأن إجمالي حجم الاستثمارات الروسية حسب بعض الإحصائيات غير الرسمية في الإمارات العربية المتحدة تجاوز ٢٠٠ مليار دولار خلال الفترة من ١٩٩٥-٢٠٠٦م(١٠).

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن الغابات الكثيفة التي تغطي مناطق شاسعة من الأراضي الروسية تعدّ مصدراً ضخماً لإيرادات الدولة، وبحسب بعض المحللين الاقتصاديين في حال الاستفادة الكلية من الثروة الخشبية فقد تصل عائدات روسيا بالعملة الصعبة إلى مستوى يقارب حجم عائدات صادرات النفط والغاز في الوقت الراهن؛ أي قرابة ١٢٠ مليار دولار سنوياً، علماً أن روسيا تحصل الآن سنوياً من ثروتها الخشبية فقط على ١٠ مليارات دولار(١١).

وبلغ احتياطي روسيا من الذهب والعملات الصعبة في ١٩-١-٢٠٠٧م ٣٠٢,٧ مليار دولار(١٢).

لمحة سريعة عن تاريخ العلاقات السعودية الروسية

في ١٦ شباط - فبراير القادم تحلّ الذكرى ٨١ لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين؛ حيث سلّم كريم حكيموف قنصل روسيا السوفيتية بتاريخ ١٦ شباط ١٩٢٦م إلى الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود مذكرة اعتراف الحكومة السوفيتية بالمملكة العربية السعودية، وبذلك كانت روسيا أول دولة غير عربية تعترف بالمملكة العربية السعودية.

وفي عام ١٩٣٢م زار ولي العهد آنذاك الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود الاتحاد السوفيتي في زيارة تاريخية.

وفي عام ١٩٣٨م ولأسباب أيديولوجية تتعلق بالاتحاد السوفيتي انقطعت العلاقات بين البلدين، ولم تُستأنف إلا في عام ١٩٩٠م؛ حيث تطوّرت العلاقات الثنائية بصورة إيجابية في الأعوام اللاحقة؛ حيث زار رئيس الحكومة الروسية فكتور تشرنوميردين الرياض في عام ١٩٩٤م، ووقّع خلال زيارته على اتفاقيات تعاون في المجالات التجارية والاقتصادية والاستثمارية والعلمية والتقنية والثقافية والرياضية.

وفي عام ٢٠٠٠م زار المملكة وزير الخارجية الروسي إيفانوف.

ومرة أخرى زار الأمير سعود الفيصل موسكو في أيار - مايو ٢٠٠٣م؛ حيث تم التحضير أثناء هذه الزيارة لزيارة ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

وكانت ذروة الدينامكية الإيجابية للعلاقات السعودية الروسية تتشكل في أول زيارة قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود عندما كان ولياً للعهد إلى روسيا في أيلول - سبتمبر ٢٠٠٣م، وغدت زيارته ومباحثاته مع الرئيس بوتين نبضة قوية في اتجاه تطور علاقات البلدين؛ حيث قال الرئيس بوتين خلال حفل استقبال الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك): إننا في روسيا خلال وقت طويل من التاريخ الحديث كنا ولا زلنا ننظر إلى العالمين العربي والإسلامي كأحد أهم حلفائنا وشركائنا.

وتطوّرت العلاقات الثنائية بصورة إيجابية بعد زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز وأصبحت تتّسم بأهمية كبيرة، وخصوصاً التعاون بين البلدين في مجال مكافحة الإرهاب والتطرّف، حيث أيّدت روسيا أثناء المؤتمر الدولي الذي عُقد في فبراير الماضي في المملكة حول مكافحة الإرهاب اقتراح الملك عبد الله بشأن استحداث مركز دولي لمكافحة الإرهاب تحت رعاية الأمم المتحدة.

وفي حزيران ٢٠٠٦م زار أمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبد العزيز موسكو؛ حيث بدا واضحاً من زيارته أن السعودية مصمّمة على المضي بثبات في رسم خريطة لعلاقاتها الخارجية تستند إلى مبدأ التوازن بين كافة القوى العاملة، وهو ما يتناسب أكثر مع أهمية السعودية كلاعب مؤثر وفاعل على المستويات العربية والإقليمية والدولية.

وتوفّرت ظروف أفضل من أجل نجاح وتطور العلاقات بين البلدين في المجال التجاري والعلمي والاقتصادي والتقني؛ حيث أطلقت ستة أقمار صناعية سعودية إلى مدارها حول الأرض بواسطة صواريخ حاملة روسية، ومن المقرّر أن يتم في أول مارس القادم إطلاق القمر السابع.

وتم اتخاذ خطوات ملموسة في مجال تنشيط التعاون الثنائي في مجال التعليم العالي، ويقدّم الجانبان الآن أحدهما إلى الآخر المنح الدراسية لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه في البلدين. وتنامى التعاون بين البلدين في مجال المحافظة على الأسعار العالمية للمحروقات بمستوى مقبول وبأكبر قدر بالنسبة للمنتجين والمستهلكين على حدّ سواء. كما ازداد عدد الحجاج القادمين من روسيا من ٦ آلاف حاج في العام ٢٠٠٢م إلى ٢٥٠٠٠ حاج في عام ٢٠٠٦م.

زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين المرتقبة إلى الرياض

تكتسب أهمية كبرى الزيارة التي يعتزم القيام بها إلى المملكة خلال شهر فبراير المقبل الرئيس بوتين برفقة وفد كبير يضم عدداً من الخبراء الاقتصاديين ورجال الأعمال، وتهدف إلى تعزيز التعاون الاقتصادي مع المملكة التي تشهد طفرة اقتصادية غير مسبوقة في شتى المجالات.

والأهمية الكبرى للزيارة تنبع من أنها أول زيارة من نوعها بهذا المستوى؛ حيث تعدّ أول زيارة لرئيس روسي إلى المملكة عبر تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين البلدين التي تمتد كما سبق أن تم ذكره إلى واحد وثمانين عاماً.

ومن المقرّر أن تسهم هذه الزيارة في تعزيز العلاقات بين البلدين والوصول إلى رؤى مشتركة حول تعزيز العلاقات الثنائية؛ حيث سيتم خلالها توقيع عدد من الاتفاقيات الاقتصادية في مجالات النفط والغاز والاستثمار بين البلدين، إضافةً إلى

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 12-02-2007 العـــدد : 12555
الصفحـات : 20 المسلسل : 140

تعزيز التنسيق والتفاهم السياسي بين روسيا والمملكة. ومن غير المُستبعد أن يتم التوقيع خلال الزيارة على اتفاقية عسكرية تقوم بموجبها روسيا بتزويد السعودية بدبابات حديثة من طراز ت إس ٩٠ المتطورة جداً التي تمّت تجربتها بنجاح كبير في الصحراء، إضافةً إلى العربات والناقلات المدرعة.

وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس بوتين سيلتقي أيضاً في مقر اتحاد غرف التجارة والصناعة السعودية برجال الأعمال السعوديين، وهذه اللفتة من جانب الرئيس الروسي لا شك أنها تدلّ على مدى الاهتمام الروسي بتطوير العلاقات الاقتصادية مع الجانب السعودي.

(١) تقرير هيئة الجمارك الفيدرالية - تقرير الاقتصاد الروسي في ٢٠٠٦م، ص٤،

(٢) تقرير البنك الدولي حول الاقتصاد الروسي في عام ٢٠٠٦م، ص٩،

(٣) من تقرير وزير الصناعة والطاقة الروسي فيكتور خريننكو في اجتماع مع الرئيس بوتين ١٨-٧-٢٠٠٦م.

(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) تقرير هيئة الجمارك الفيدرالية عن ٢٠٠٦م.

(٩) النشرة الإحصائية الروسية الدورية لشهر نوفمبر ٢٠٠٦م.

(١٠) صحيفة (كوميرسانت)، عدد ٣١٨٤ - أكتوبر ٢٠٠٦م.

(١١) البروفيسور ألكسندر فولنيك، مقال (الثروة الأخرى)، بحث علمي نُشر في كرّاس معهد الاستشراف في شهر أكتوبر ٢٠٠٥م.

(١٢) بيان دائرة العلاقات العامة والخارجية في البنك المركزي الروسي.

*خبير في الشؤون الروسية